

تاريخ القبول: 2020/10/06

تاريخ الإرسال: 2020/01/10

تاريخ: 2020/11/03

إشكالية الهجرة غير الشرعية في الساحل والصحراء الكبرى
وانعكاسها على تزايد النشاط الإرهابي والإجرامي وإستراتيجية
مواجهاتها دوليا.

**The problem of illegal migration in the Sahel and
Sahara, and the impact on the increase in terrorist
and criminal activity and the strategy of
confronting it internationally**

د. قلاع الضروس سمير¹المركز الجامعي الوشريسي تيسمسيلت (الجزائر) Hakimsamir.3816@gmail.com

المخلص:

تهدف هذه الورقة البحثية لدراسة ظاهرة خطيرة انتشرت في السنوات الأخيرة في منطقة تعتبر من أكثر المناطق تواجدا للتهديدات الأمنية الكلاسيكية واللاتمائية، وهي ظاهرة الهجرة غير الشرعية وما تحمله من انعكاسات ومخاطر أمنية من تزايد الجريمة المنظمة والنشاط الإرهابي في الساحل والصحراء الكبرى، منطلقين في دراستنا هذه، من فرضية أساسية مفادها -كلما ارتفعت مؤشرات الهجرة غير الشرعية في الساحل والصحراء زادت بموجيها التهديدات الأمنية كالجريمة والإرهاب-، وبالتالي ستكون مبررات التدخل الخارجي أقوى من خلال إستراتيجياتها الأمنية، وفي

نهاية الدراسة سنجيب على انعكاس هذه الإستراتيجيات على أمن الساحل والصحراء الكبرى، وخاصة دول المنطقة بما فيها الجزائر التي هي أولى بمعالجة معضلاتهم الأمنية في أطر قانونية و أمنية ودبلوماسية.

الكلمات المفتاحية: الهجرة غير الشرعية، الساحل الإفريقي والصحراء الكبرى، الإستراتيجيات الدولية، الأمن، التهديدات الأمنية.

Abstract:

This research paper aims to study a serious phenomenon, have spread in recent years, In a dangerous area, This phenomenon is illegal immigration, and its security implications from the increase in organized crime and terrorist activity in the Sahel region and the Sahara, Our study therefore starts with a basic premise The more illegal immigration, the greater the security threats such as crime and terrorism and therefore the causes of external intervention In the region will be stronger, at the end of the study We will try to answer to the impact of these strategies on the security of the Sahel and Sahara, In particular, the countries of the region, including Algeria, are the first to address their security problems in legal, security and diplomatic frameworks.

Keywords: Illegal migration, The Sahel Region and Sahara, International Strategies, Security, Security Threats.

المؤلف المرسل: قلاع الضروس سمير ، HAKIMSAMIR.3816@GMAIL.COM

1. مقدمة:

تعد إفريقيا من أكثر القارات تواجدا للإثنيات والعرقيات، والتي أصبحت ترتبط بشكل كبير بالحروب الأهلية والإبادات الجماعية في العديد من مناطق القارة، ومن

المناطق التي دار عليها نقاش واسع بين الباحثين والأوساط الأكاديمية نجد "منطقة الساحل الإفريقي والصحراء الكبرى" لما لها من انكشاف أمني، ووضع لا أمني وتهديدات لا تماثلية، المتمثلة في تزايد نشاط الحركات الإرهابية، والجماعات الإجرامية وارتباطها بإشكالية الهجرة غير الشرعية، إضافة للنزاعات والصراعات العرقية ذو العامل النبيوي، المرتبطة بظروف وبيئة المجموعات وانسجامها في المناطق التي يمكن أن تستقر بها، متجنبه قلة الموارد الاقتصادية، الفقر، الحاجة والتهميش الثقافي والسياسي والديني، والتي تعد من أبرز العوامل المرضية لنشوء النزاعات بين هذه الجماعات الإثنية والمؤدية لنتامي عدة ظواهر مرضية كظاهرة الهجرة غير الشرعية، التي نحن بصدد دراسة هذا الموضوع الذي يكتسي أهمية علمية وعملية بالغة، من خلال معرفة موقع هذه المنطقة من بعده الجيوبولتيكي.

كما أن البحث ودراسة ظاهرة وإشكالية الهجرة غير الشرعية في الساحل والصحراء الكبرى، وانعكاسها على تزايد النشاط الإرهابي والإجرامي وإستراتيجية مواجهاتها إقليمياً ودولياً، من المواضيع التي يجب إعادة النظر ودراستها من كل جوانبها الأمنية والسياسية والاقتصادية والثقافية، وهذا من خلال التعمق أكثر في هذه المنطقة الغامضة والضبابية، ومعرفة مكانة المنطقة ضمن إستراتيجيات القوى الكبرى، سعياً للوصول للاستنتاجات العلمية والعملية، وبناء على هذا التمهيد المقدم نطرح الإشكالية التالية:

- إلى أي مدى ساهمت الإستراتيجيات الدولية في وقف زحف الهجرة غير الشرعية، والتهديدات الأمنية المرتبطة بها في الساحل الإفريقي والصحراء الكبرى؟ وما انعكاس هذه الإستراتيجيات على أمن المنطقة؟

وبناء على ما تقدم سنحاول معالجة هذا الموضوع في الدراسة الموسومة ب" إشكالية الهجرة غير الشرعية في الساحل والصحراء الكبرى وانعكاسها على تزايد

النشاط الإرهابي والإجرامي وإستراتيجية مواجهاتها إقليميا ودوليا" من خلال المحاور التالية:

1. مقدمة وإشكالية؟
2. الأهمية الإستراتيجية لمنطقة الساحل الإفريقي.
 - 1.2 القدرات النفطية لدول الساحل الإفريقي.
 - 2.2 النفط في الساحل والصحراء: مصدر تهديد إقليمي و اهتمام عالمي.
 3. التهديدات الأمنية اللاتماثلية وخطر تنامي الهجرة غير الشرعية.
 - 1.3 تنامي الجماعات الإرهابية .
 - 2.3 الجريمة المنظمة في الساحل الإفريقي .
 - 3.3 الهجرة الغير الشرعية في الساحل الإفريقي.
4. إستراتيجيات الأمنية للقوى الكبرى لوقف معظلة الهجرة غير الشرعية والتهديدات الأمنية المرتبطة بها.
 - 1.4 الإستراتيجية الأمريكية تجاه تعزيز الأمن في المنطقة.
 - 2.4 السياسة الفرنسية للحد من خطر الهجرة والنزوح نحو الشمال.
 - 3.4 التوجهات الصينية الجديدة تجاه أخطار الهجرة والجريمة والإرهاب.
5. خاتمة واستنتاجات.

2. الأهمية الإستراتيجية لمنطقة الساحل الإفريقي.

تعد منطقة الساحل الإفريقي من بين أهم المناطق التي احتلت صدارة اهتمامات الباحثين والمختصين في حقل الدراسات الإستراتيجية والأمنية، وهذا بسبب التطورات المفاجئة التي تجاوزت تخمينات وتحليلات المهتمين بشؤون الساحل في السنوات العشر الأخيرة، وبصرف النظر عن طابع المنطقة الصحراوي الذي يكمن في خطورة انعكاساته الأمنية على دول الجوار، وبدرجة أخص على الجزائر بحكم

حدودها الشاسعة المنفتحة والمنكشفة، وسعي بعض الأطراف زج المنطقة في الصراعات الإثنية كتأجيج الصراعات بين القبائل "التارقية" كورقة وأداة ضغط على دول المنطقة كمالى والجزائر وليبيا، خاصة في ظل التنافس الإستراتيجي الكبير على منطقة تعتبر من أهم المناطق الجيوإستراتيجية في القارة الإفريقية.

وعليه تبرز الأهمية الإستراتيجية لمنطقة الساحل الإفريقي والصحراء الكبرى من موقعه الجغرافي بالأساس كونه المجال الجغرافي القريب لمجموعة من الأقاليم الحيوية، فشريط أو خط الساحل يشكل محورا إستراتيجيا مهم في القارة الإفريقية، ومن هنا يمكن الاعتماد على المدخل الجيوبوليتيكي كمنطلق للاهتمام الغربي بالساحل الإفريقي¹، حيث تظهر أهمية الساحل الإفريقي والصحراء الكبرى من خلال ما يتمتع به من موقع إستراتيجي محاذي لأهم المناطق التي أصبحت تعرف تنافسا دوليا كبيرا عليهما في الآونة الأخيرة.

الجدول 1: (مناطق التماس المباشر وغير المباشر لمنطقة الساحل الإفريقي)

مناطق التماس المباشر للساحل الإفريقي	مناطق التماس الغير المباشر للساحل الإفريقي
منطقتي المغرب العربي وشمال إفريقيا	الخليج العربي ومنطقة الشرق الأوسط
منطقة البحر الأحمر ومنطقة القرن الإفريقي	البحر الأبيض المتوسط من بوابة الجزائر
دول غرب قارة إفريقيا المحيط الأطلسي من بوابة موريتانيا	المحيط الهندي من بوابة القرن الإفريقي

المصدر: من إعداد الباحث.

وبناء على الرسم البياني الذي يبين موقع الساحل الإفريقي ضمن أبرز نقاط الاهتمام العالمي نستخلص أن الساحل يحتل مكانة إستراتيجية بارزة ليس في إفريقيا فحسب، بل على المستوى الدولي كونه يعتبر جسر رابط برى بين الأمريكيتين والمحيط الأطلسي وصولا إلى منطقة القرن الإفريقي والمحيط الهندي والبحر الأحمر

والخليج العربي التي تعتبر بوابة قارة آسيا، كما نستخلص من الجدول الموضح أعلاه بأن المنطقة تتمتع بثروات طبيعية ومواد ضخمة لم تستثمر بشكل مثالي، ولم يبدي سكان المنطقة اهتماما كبيرا بما يحويه الساحل الإفريقي من ثروة معدنية عالية الجودة كالذهب، النحاس والنفط والبتترول والغاز.

1.2 القدرات النفطية لدول الساحل الإفريقي:

تمتلك دول الساحل الإفريقي والصحراء الكبرى احتياطات نفطية كبيرة، لذا أصبحت في بؤرة الإهتمام العالمي لما تمثله من أهمية جيوبوليتيكية وإستراتيجية واقتصادية متنامية، فالساحل والصحراء اليوم تطرح نفسها بديلا قويا لمصادر النفط في الشرق الأوسط خاصة بعد التحولات السياسية الحاصلة في المنطقة العربية والشرق الأوسط وما خلفته الأزمة السورية واليمنية من تعقيدات جيوبوليتيكية، الأمر الذي أدى بدوره إلى احتدام التنافس الدولي على النفط والموارد الطبيعية الإفريقية بصفة عامة، الذي يتوقع له أن يأخذ منحى جديدا خلال السنوات المقبلة وصولا لسنة 2020.

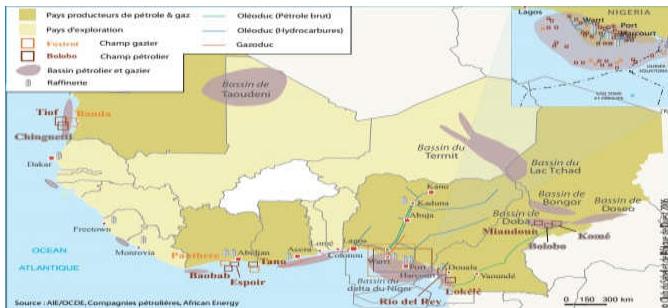
ويشكل النفط في منطقة الساحل الإفريقي والصحراء من أهم الحقول العالمية في الإنتاج والتصدير إضافة إلى بعض دول الجوار كنيجيريا، ليبيا، الجزائر وغينيا بيساو²، خاصة لما نعلم أن إفريقيا كقارة تحتل موقعا مهما في خريطة النفط العالمية، ويتركز إنتاج النفط في منطقة غرب إفريقيا وتأتي نيجيريا في مقدمتها، كما تعتبر الدولة العاشرة في التصنيف العالمي للدول المنتجة للنفط، إضافة إلى الجزائر التي تحتل الرتبة الخامسة عشر بمخزون احتياطي مؤكد مقدّر ب 12مليار ومائتي مليون برميل، مما نسجل بالأهمية الإستراتيجية للمنطقة مرتبط بالأساس بمناطق دول الجوار مثل نيجيريا والجزائر وليبيا، التي تتقاطع جغرافيا بالساحل الإفريقي حيث يرى "فيليب لوبيز" *Phelipe Lopes* بأن منطقة غرب إفريقيا والصحراء الكبرى وصولا

إلى السودان تمثل محورا تنافس كبيرين بين القوى الكبرى³، حيث تصل 70 % من نسبة الاحتياطي الإفريقي في نيجيريا بالنسبة للدول الأعضاء في منظمة الدول المنتجة للنفط *OPEC* كما أنها تستحوذ على 189 تريليون قدم مكعب من احتياطي الغاز إضافة للبترول، في المقابل سعت نيجيريا لرفع مخزونها إلى 40 مليار برميل وتسعى لرفع قدرتها الإنتاجية بحلول 2020 إلى 740 ألف برميل يوميا⁴. أما في ما يخص منطقة شمال إفريقيا فوجد دولتي أعضاء في منظمة الأوبك هما ليبيا والجزائر وفي وسط إفريقيا (تشاد والكونغو الديمقراطي) اللذان يتميزان ببترول يتمتع بميزة جودة عالية وحديث الاكتشاف، حيث بدأ في الإنتاج في جويلية 2002 من حوض "دوبا" في الجنوب وبلغ الإنتاج 225 ألف برميل حسب تقديرات سنة 2006⁵.

فعدت قيامنا مثلا بدراسة مسحية للثروات النفطية لدول منطقة الساحل الإفريقي نرى أن هذه الأخيرة تمثل محور تنافس دولي واستراتيجي بحكم الموارد الطبيعية والباطنية والغير المستغلة، كما تمتلك النيجر احتياطات نفطية كبيرة خاصة في مناطق "أوجاديم" شمال بحيرة تشاد النيجرية ومنطقة "دجادو" ، واحتياطات من النفط تقدر بـ 324 مليون برميل تم الكشف عنها حديثا في صحراء النيجر خاصة بمنطقتي "نينيري" وواحة "بيلما" إلا أنه تبقى عملية الإنتاج النفطي تحت المستوى المطلوب كون هذه الدولة حديثة الاكتشاف البترولي، وتسعى مجموعة من الشركات الأمريكية على غرار "هانت أويل" *Hant oil* وشركات التنقيب والاكتشاف البترولي كـ "إكسون موبيل" *Exon Mobile* و"بيترونز" *Petronze*، كما تحول النفط في تشاد إلى مصدر الدخل الأول في الصادرات التشادية قبل القطن والمحصولات الزراعية، فقد بدأ الإنتاج في تشاد جويلية 2003 من حوض "دوبا" *doba* في جنوب البلاد⁶، فالولايات المتحدة الأمريكية تسعى لإقامة موقع لها في المنطقة من أجل تأمين أنبوب تشاد - الكامبيرون الذي يضح 250 ألف برميل من النفط يوميا⁷ . وصولا لموريتانيا

التي تشير تقديراتها حاليا تتدرج ضمن الدول الممثلة للنفط المؤكدو المقدر ب 100مليون برميل ومصنفة 67عالميا حسب إحصائيات 2011. وصولا ل180 مليون برميل يمكن إنتاجها في حدود سنة 2020.

الخريطة 1: (الموارد الطبيعية والنفطية والأهمية الإستراتيجية في الساحل الإفريقي)



المصدر:

Mehdi TAJE, Enjeux ouest-africains: Vulnérabilités et facteurs d'insécurité au Sahel, Note publiée par le Secrétariat du Club du Sahel et de l'Afrique de l'Ouest (CSAO/OCDE), No 1, août 2010, p4.

2.2 النفط في الساحل والصحراء: مصدر تهديد إقليمي واهتمام عالمي.

أشارت العديد من التقارير عن وجود كميات كبيرة من احتياطي الذهب واليورانيوم والفحم في الشريط الإستراتيجي للساحل الإفريقي، فالنيجر يعد اليورانيوم فيه من أبرز الموارد الطبيعية التي تمتلكها، أما فيما يخص الذهب فهي موجودة بين نهر النيجر ومناطق متاخمة لبوركينا فاسو⁸، أما موريتانيا فتمتاز بتنوع ثرواتها المعدنية من حديد ونحاس وفوسفات، إلا أنه يبقى النشاط الزراعي من أهم النشاطات الاقتصادية إذ يتجاوز نسبة المشتغلين بالقطاع حوالي 55% حسب تقديرات وإحصائيات 2010 للتنمية البشرية.

هذه الموارد الطبيعية زادت من الأهمية الجيوبوليتيكية للساحل الإفريقي التي زادت من حدة تحدياتها السياسية والاقتصادية وارتفاع مستوى التنافس الدولي والأجنبي عليها، ففرنسا تعتبر دول الساحل الإفريقي منطقة نفوذ حيوي بحكم أن دول الساحل كانت من بين مستعمراتها السابقة، ومن جهة أخرى تواجد القوات الفرنسية الخاصة ليس من أجل حماية رعاياها الفرنسيين ولكن بغية حماية مصالحها الإستراتيجية، كحماية مثلاً شركة "أريفا" Areva مستثمرة في المجال الطاقوي في النيجر لاستغلال اليورانيوم وغيرها من الشركات، حيث تؤكد العديد من التقارير الاستخباراتية لدول الساحل خاصة الجزائر بأن أمن الساحل يجب أن يكون بتفعيل التنسيق الميداني بين دول المنطقة، إضافة إلى دولة مالي التي تشير مجموعة من الدراسات بأنها دولة نفطية تزخر بثروات طبيعية هائلة لم تكتشف بعد كاليورانيوم، النفط والغاز وهي من بين أهم عناصر الجذب من طرف القوى الكبرى والهدف الأساسي هو التحكم في مصادر الطاقة وهنا تبرز النظرية الواقعية الأمنية لتوضح بأن المصلحة هي المحرك الأساسي لإستراتيجية مكافحة الإرهاب.

3. التهديدات الأمنية اللاتماثلية وخطر تنامي الهجرة غير الشرعية.

مما لا شك فيه أن منطقة الساحل الإفريقي هي منطقة أزمات لما تعرفه هذه المنطقة من تدهور أمني واسع النطاق أثر بشكل كبير على دول الحزام ومجتمعاتها البدوية والبسيطة، التي لا تتمتع بنظام الحماية في هذه المنطقة الواسعة والمصنفة من بين أفقر المناطق بدولها الهشة أمنياً و اقتصادياً وفق تقارير التنمية البشرية بالرغم مما تتوفر عليه من موارد طبيعية تشمل النفط، الذهب، الحديد، ومادة اليورانيوم وموارد طبيعية أخرى ذات الأهمية الإستراتيجية⁹.

1.3 تنامي الجماعات الإرهابية .

تشهد منطقة الساحل الإفريقي في الآونة الأخيرة مخاطر وتهديدات أمنية متنامية بسبب اتساع مجال أنشطة الجماعات الإرهابية وتحديدا في المناطق الحدودية بين الجزائر وموريتانيا ومالي والنيجر، حيث تنعدم أنماط الحياة المألوفة في المناطق المؤهلة للسكن، وما يلفت نظر المتتبعين للشؤون الأمنية في تلك المناطق هو الانتشار الواسع لكافة الأنشطة الموازية للأعمال الإرهابية كتجارة الأسلحة والمخدرات والهجرة الغير الشرعية مما يجعلها شبكات متداخلة في تشكيلها بين توجهات أصولية متشددة وخلفيات ومصالح اقتصادية محلية لها امتدادات إقليمية ودولية تمتد تداعياتها على الساحة الدولية¹⁰، كتنظيم "القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي"¹¹، الذي تشكل في نوفمبر 2006 من خلال انضمام الجماعة السلفية للدعوة والقتال الجزائرية ومجموعات إسلامية متشددة مغربية للقاعدة الأم وأعلنوا مبايعتهم لزعيمهم "أسامة بن لادن" في 24 جانفي 2007.

وبناء على ذلك، تؤكد دراسات خاصة أمريكية بأن منطقة الساحل الإفريقي سوف تصبح المجال الرخو والخصب لنمو وتطور الإرهاب خاصة مع بروز مجموعة المجموعات الإرهابية بالتقريب في حدود 700 فرد تقريبا من أنصار الدين سنة 2012 بتقدير زيادة أكثر من 1000 فرد في حدود سنة 2020، أكثر من 600 فرد تابعين لتنظيم القاعدة بزيادة تصل لحدود 3000 فرد سنة 2025 خاصة مع تفاعل هذا التنظيم الإرهابي مع تنظيم الدولة الإسلامية في الشام والعراق المسمى ب"داعش" بعد تعاضم الأزمة الأمنية الليبية وزيادة المليشيات الإرهابية فيها سنة 2015، أكثر من 300 فرد ينتمون لحركة التوحيد والجهاد، وتواجد تنظيم داعش الإرهابي وتغطيته لجنوب ليبيا بشكل كبير من سنة 2015 وقد يتواصل تواجد هذا التنظيم الإرهابي لغاية سنة 2020 حسب تقارير الأمنية الاستخباراتية والدراسات الأمنية.¹²

2.3 الجريمة المنظمة في الساحل الإفريقي .

تشهد منطقة الساحل الإفريقي تنامي واسع للجريمة المنظمة في ظل شساعة المساحة الجغرافية، وتردي الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية لدول المنطقة من فقر وضعف النمو الاقتصادي والخدمات الصحية والتعليمية ومقترب الدولة الفاشلة. وتشهد المنطقة صراعات ونزاعات عنيفة ذات بعد إثني هذا كله أدى لتنامي ظواهر مرضية بكل أشكالها الإجرامية كغسيل الأموال وتهريب الأسلحة الخفيفة والثقيلة والمتطورة وتهريب السجائر والاتجار بالمخدرات التي تعرف نموًا سريعًا، خاصة بعد تحول هذه المنطقة لجسر عبور المخدرات كالكوكايين والكراك والهيروين من أمريكا اللاتينية عبر إفريقيا وصولًا بالمحيط الهندي عبر مجموعة من الدول الإفريقية وصولًا إلى أوروبا عبر منطقة المغرب العربي¹³.

وقد أوضح الباحث "جورج بورغزان" *Georges Berghezan* في التقرير الخاص بفريق البحث في مجموعة البحث والاستعلام حول الأمن والاستقرار بأن هذه الدول هي (نيجيريا، البنين، الطوغو، غانا، كوت ديفوار، ليبيريا، سيراليون، غينيا، غينيا بيساو، السينيغال، غامبيا، الرأس الأخضر، موريتانيا، مالي، النيجر وبوركينا فاسو) والتي تعتبر من أكثر الدول الإفريقية مرورًا للكوكايين وللمخدرات كما أكدها في بداية دراسته¹⁴، ويشير الباحث "لورانس إيدا أمور" بأن الساحل يعتبر محور وممر عبور بين القارات¹⁵، وصولًا لتقارير الأمم المتحدة تحصي ما نسبته 30% إلى 40% من المخدرات الصلبة تمر عبر هذه المنطقة، مرورًا بالمنطقة المغاربية وصولًا إلى أوروبا بقيمة إجمالية قدرها 1,8 مليار دولار¹⁶، ويشير التقرير إلى أن تهريب الكوكايين فاقم عدم الاستقرار في غينيا بيساو، وتهريب الأسلحة غذى التمرد في شمال مالي، والقرصنة البحرية تهدد التجارة في خليج غينيا. مما يجعل كل هذه

التقارير تؤكد نشاط الجريمة المنظمة وخطرها المتزايد في الساحل الإفريقي والصحراء الكبرى في السنوات الأخيرة.

3.3 الهجرة الغير الشرعية في الساحل الإفريقي.

تشكل الهجرة الغير الشرعية المندفعة من الصحراء الكبرى ودول الساحل الإفريقي المتأزمة بوضع اللااستقرار إلى شمال إفريقيا، ولمناطق أخرى من القارة، حيث أصبحت هذه الظاهرة تقلق دول الجوار في القارة ودول الضفة الجنوبية من القارة الأوروبية لما يرتبط مع الهجرة من انعكاسات سلبية تؤدي لمشاكل اجتماعية مما يزعزع الأمن ويضعف بنية الاستقرار¹⁷، ولقد تسببت الحروب والصراعات والتدخل الأجنبي في زيادة ظاهرة الهجرة الغير الشرعية التي تختلف مدلولاتها وتتشابك مظاهرها ومعاييرها فكل منطقة في العالم تحمل خصوصية معينة في هذه المعضلة الأمنية¹⁸.

ووفق رؤية الباحث "تريبالا" *Triballa* والذي يرى أن الهجرة تعني بتلك الحركة من منطقة إلى منطقة أخرى بغية تحسين العيش أو الاستقرار، إلا أن الهجرة غير الشرعية تعتمد على شبكات سرية وهي عبارة عن عصابات تنطوي ضمن المنظمات الإجرامية، والتي تعمل على تنظيم وتسهيل واستدراج وتوجيه المهاجر أو عدة مهاجرين وتنتشر هذه المنظمات المختصة في حركة الهجرة في المناطق التي تعيش أزمات سياسية وأمنية واقتصادية وتفشي ظاهرة "العنف البنيوي" مثل منطقة الساحل الإفريقي التي هي اهتمام دراستنا، وتعتبر منطقة المغرب العربي منطقة عبور رئيسية للاجئين والمهاجرين المتدفقين من إفريقيا الوسطى ومن دول تعاني أزمات سياسية مثل دولة مالي إضافة لدول الساحل الإفريقي من السنغال وصولاً لمنطقة القرن الإفريقي التي تنتشر فيها الصراعات العرقية ومشاكل الفقر والأنظمة الشمولية والتسلطية والعسكرية التي تسعى للحفاظ على الوضع القائم¹⁹.

وعليه، يمكن القول بأن الحدود السياسية بين دول المنطقة لم تعد تشكل فاصلا يحول دون تدفق المهاجرين الغير الشرعيين من بعض الدول التي تعاني من تدهور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والأمنية إلى دول أخرى أكثر استقرارا خاصة نحو دول شمال إفريقيا ومنها إلى أوروبا²⁰، فالجزائر تعتبر منطقة عبور بالنسبة للمهاجرين الغير الشرعيين لمالي والنيجر وتشاد بشكل أخص وصولا لدول منطقة إفريقيا الوسطى²¹، وعليه فإن هذا الموقع الجغرافي ساهم في تشجيع أكثر لعملية الانتقال خاصة الشباب الأفارقة إلى الضفة الشمالية للمتوسط خاصة كون يتعلق الأمر بدول الساحل الإفريقي حيث تشهد هذه المنطقة إضافة للعوامل المؤثرة سياسيا واجتماعيا إلى التقلبات الطبيعية القاسية كالتصحّر وزحف الرمال وكذا الظروف المناخية الصحراوية القاسية المشجعة لظاهرة الهجرة الغير الشرعية، كما يضاف للعوامل المساهمة للتدفق الهجري أو الانتقال البشري الغير الشرعي عامل القرب لأوروبا من بوابة المغرب وتونس والجزائر، وعامل القرب لمنطقة الخليج العربي من محور السودان والصومال²².

ومنه نستنتج بأن هناك مجموعة من العوامل البنوية والهيكلية والتاريخية والمكانة الجيوستراتيجية للساحل الإفريقي كلها عوامل اجتمعت في تآزيم الوضع الأمني والإنساني في المنطقة، فكل هذه التهديدات الأمنية تتزايد مع تزايد مؤشرات العنف البنوي خاصة بعد الحراك السياسي في منطقة شمال إفريقيا لما يسمى "بالربيع العربي" خاصة بعد الأزمة الليبية، الأمر الذي ساهم في الانكشاف الأمني وتزايد نشاط الجماعات الإرهابية والإجرامية في الصحراء الكبرى و الساحل الإفريقي.

4. إستراتيجيات الأمنية للقوى الكبرى لوقف معظلة الهجرة غير الشرعية والتهديدات الأمنية المرتبطة بها.

بالرغم من الامتداد الجغرافي على منطقة الساحل الإفريقي والصحراء الكبرى على أراضي قاحلة ودول فقيرة ومجتمعات متخلفة ومتصارعة عرقيا وإثنيا، إلا أنها شكلت محور بارز ضمن الأجندة السياسية والاقتصادية للدول الكبرى، كما شكلت منطقة رهانات إستراتيجية وحيوية تغذت بالثروات الطبيعية والمصادر الحيوية و الطاقوية من جهة والسياسات المنتهجة في الحد من خطر الهجرة غير الشرعية، ومن أبرز هذه السياسات والإستراتيجية نجد:

1.5 الإستراتيجية الأمريكية تجاه تعزيز الأمن في المنطقة.

تعتبر الإدارة الأمريكية الساحل الإفريقي جبهة جديدة في حربها العالمية على الإرهاب، ومن هذا المنطلق رأّت واشنطن بضرورة التواجد في المنطقة أكثر من أي وقت مضى، وعليه فإن الولايات المتحدة الأمريكية اعتمدت على مجموعة من المبادرات الأمنية وهي كالتالي:

1.1.5 مبادرة بان ساحل: مبادرة مكافحة الإرهاب في دول الساحل الإفريقي 2002: خصص البيت الأبيض مبلغ مالي يفوق 8مليار دولار لإعداد وتكوين الجيوش من أجل حماية الحدود من المنظمات الإجرامية والإرهابية والجماعات المتخصصة في الهجرة غير الشرعية، وهذا ما سمي بمبادرة "بان ساحل" في كل من تشاد، النيجر، مالي، موريطانيا، من خلال الاعتماد على نظام المراقبة الأمنية في المنطقة، حيث تقوم الفرق العسكرية الأمريكية بتدريب الجنود لكل دولة من الدول الأربعة ، وهذه العمليات تتم تحت مسؤولية *EUCOM* وهي القيادة العسكرية الأمريكية المهتمة بشؤون أوروبا²³.

2.1.5 مبادرة مكافحة الإرهاب عبر الصحراء TSCTI : وتهدف هذه المبادرة إلى هزيمة الإرهاب وتدعيم القدرات العسكرية لجيوش المنطقة، وتعزيز العلاقات العسكرية بين دول الساحل والولايات المتحدة الأمريكية.

3.1.5 مشروع "الأفريكوم AFRICOM" تم إنشاء القيادة العسكرية الأمريكية في إفريقيا في 6 فيفري 2007، وهي مركز مستقل للقيادة العسكرية الأمريكية في القارة الإفريقية، التي تتولى مهمة تنفيذ البرامج المتعلقة بالأمن والاستقرار، وتعزيز الشراكة الأمنية مع المؤسسات العسكرية للدول الإفريقية في مجال مكافحة الإرهاب وتعزيز حقوق الإنسان والاهتمام بالفرد وتحسين حياته المعيشية.

2.4 السياسة الفرنسية للحد من خطر الهجرة والنزوح نحو الشمال.

مع إنتشار العنف المرتبط بالإرهاب والجريمة المنظمة وتجارة المخدرات، وفي ظل الفشل الدولاتي المتنامي وعدم الاستقرار السياسي التي أدت لخطر الهجرة غير الشرعية أصبحت الإدارة الفرنسية تهتم كثيرا بهذه المنطقة، والدليل في ذلك خطاب "تيكولا ساركوزي" و"فرنسوا هولاند" وصولا للرئيس الحالي "إيمانويل ماكرون" الذي قام بأول زيارة له في إفريقيا تجاه مالي، وهذا من أجل حماية المصالح الفرنسية في المنطقة، حيث وضعت فرنسا حد لنفوذ الجماعات الإرهابية والإجرامية ومنظمات الخاصة بالعمل في مجال الهجرة غير الشرعية من خلال عملية "سيرفال"²⁴، وتهدف أيضا إلى الحد من قدرات القاعدة في التوسع والانتشار جغرافيا وبشريا وبناء قدرات عسكرية قتالية عالية محاولة فرنسا من خلال هذه المقاربة أن تضع حد لكافة الأنشطة الإجرامية المهددة لمصالحها الحيوية والتنقل بالأموال والسيارات الرباعية الدفع في منطقة الساحل الإفريقي.

3.4 التوجهات الصينية الجديدة تجاه أخطار الهجرة والجريمة والإرهاب.

ركزت الصين سياستها في القارة الإفريقية وبالضبط بمنطقة الساحل على إستراتيجية العولمة البديلة التي تمهد الطريق للخيار الصيني، من خلال سياسة الاستحواذ على مصادر الطاقة والسلع الأساسية²⁵، و بانعقاد منتدى التعاون الصيني - الإفريقي في بكين سنة 2000 قامت الصين بإلغاء ديون مستحقة لها لدى 31

دولة أفريقية أبرزها دول الساحل والصحراء الكبرى وهذا كله من أجل التنافس والتموقع في المنطقة؛ وبشكل عام الإستراتيجية الصينية قائمة على هدفين رئيسيين هما وقف خطر الهجرة غير الشرعية من خلال زيادة الشركات الاقتصادية في مالي النيجر وتشاد وموريتانيا والاعتماد على البعد الدبلوماسي من خلال مبدأ الحوار والمساعدة الاقتصادية²⁶. حيث تنطلق الصين من قاعدة ملء أي فراغ موجود في المنطقة بمعنى أن اهتمامها نابع من مصالحها الإستراتيجية كهدف خفي وبعيد المدى.

5. خاتمة:

وفي الأخير، نستنتج أن هذه المقاربات والإستراتيجيات تندرج في إطار التنافس الدولي في الساحل الإفريقي والصحراء الكبرى، التي ستكون لها انعكاسات إيجابية وأخرى سلبية في المستقبل، والتي تقتضي هذه الإستراتيجيات بضرورة التوفيق بين التهديدات الأمنية والانعكاسات لتطوير المنطقة وتميبتها، وهذا المطلب صعب التمكين، ولا يمكن أن يتحقق إلا من خلال تنسيق المواقف بين دول الساحل والصحراء الكبرى كلها لتتجاوز مع القوى الدولية المتواجدة في المنطقة بالتنسيق مع الإتحاد الإفريقي بالأساس.

أما عن انعكاس التنافس الدولي على الاستقرار السياسي في الساحل، فيمكن القول أن هذا التنافس قد أدى إلى حدوث تأثير سلبي على استقرار المنطقة خاصة في ظل تبعية أنظمة المنطقة للدول الغربية، وما زاد للأمر تعقيدا هي تلك المساهمات المالية الضخمة التي تقدمها هذه القوى، مما يجعل قادة دول الساحل الإفريقي لا يحلون مشاكلهم السياسية والاجتماعية إلا بايعاز من طرف هذه القوى الدولية، والذي سيقفي بظلاله على مستقبل القارة بأكملها والمنطقة المغربية خاصة الجزائر التي تشترك بشكل كبير مع دول الساحل والصحراء في الحدود.

وكتوصية للدراسة وجب النظر والتركيز على المقاربة الجزائرية للأمن في منطقة الساحل الإفريقي، كونها تنتمي حضاريا وجغرافيا بالساحل الإفريقي، كما أنها تعتبر من أهم الدول الإفريقية التي قدمت إسهامات تنموية ناجحة كمشروع "النيباد" ورسمت دبلوماسية فعالة خاصة في تسويق التجربة الجزائرية وإستراتيجيتها في مكافحة الإرهاب، كون التصور الجزائري تجاه تحقيق الأمن ومواجهة التهديدات الأمنية خاصة خطر الهجرة غير الشرعية وما تبعها من أخطار في منطقة الساحل الإفريقي لم تتغير قبل وبعد التدخل العسكري الفرنسي سنة 2011، وهذا ما يعزز قوة الأطروحة الجزائرية.

وبالتالي فمستقبل المنطقة يجب أن يكون من خلال تعزيز مبدأ الحوار السياسي وتقديم الحل السلمي قبل أي عمل عسكري وتفعيل الدور التنموي كمرحلة أساسية في بناء الأمن وصولا للتعاون الجماعي والتنسيق البيئي بين دول المنطقة لمكافحة كل التهديدات الأمنية خاصة مكافحة الإرهاب من خلال تجريم الفدية لتحقيق السلام الإيجابي و الأمن الجماعي.

6. المراجع

¹ - خالد حنفي علي، "موقع إفريقيا في إستراتيجية أمريكا الجديدة"، مجلة السياسة الدولية، العدد 145، أكتوبر 2003، ص 207.

² - أحمد مقرم النهدي، "موقع قارة إفريقيا الإستراتيجي"، مجلة قراءات إفريقية ، العدد 6، سبتمبر 2010، ص 47.

³ - Phelipe Lopez Sepile, Geopolitique de petrole , traduction vers langue arabic dr Salah Neyouf, Edition Armand oline Fondation , promouthouse,2006,p 135.

⁴ - كولن كامبيل وفروكده ليزينبوركس وآخرون، ترجمة: عدنان عباس علي، نهاية عصر البترول، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 2004، ص 76.

- 5 - نادية عبد الفتاح، تكالب القوى الكبرى على البترول والغاز في إفريقيا، جامعة القاهرة: التقرير الإستراتيجي الإفريقي لمركز البحوث الإفريقية، 2006، ص 115.
- 6 - نفس المرجع، ص 14.
- 7 - عبد الملك عودة، "أفريكوم تبحث عن مقر دائم في إفريقيا"، القاهرة: الأهرام الإقتصادي، العدد 2036، جريدة الأهرام المصرية، 14 جانفي 2006، ص 09.
- 8 - Philipp Heinrigs, Le Pétrole et le Gaz, Atlas de l'Intégration Régionale en Afrique de l'Ouest, Club du Sahel et de l'Afrique de l'Ouest, CEDEAO, avril 2007, p 12
- 9 - Islamiste Terrorisme in the sahel: Fact or fiction ?, Crisis Group Africa Report, N92, 31 March 2005, p 34.
- 10 - سعد حقي توفيق، النظام الدولي الجديد: دراسة في مستقبل العلاقات الدولية بعد إنتهاء الحرب الباردة، عمان : الأهلية للنشر، 1999، ص 23.
- 11 - توفيق المدني، "هل تحولت إفريقيا إلى ميدان جديد لنشاط القاعدة"، جريدة الجزيرة السعودية ، (الأربعاء 4 أوت 2010)، متحصل عليه يوم 3 فيفري 2013، متوفر على الرابط التالي:
<http://www.65.17227/newspapers/2010/5885433.html>
- 12 - Marc HECKER , Quel Avenir pour le Djihadisme? Al Qaida et Daech après le Califat, La blande Sahélo-saharienne , Etudes De Ifri : Focus Stratégique , Centre des études de sécurité, janvier 2019, p 23.
في نفس السياق و إضافة للتقديرات المقدمة كانت من طرف الدكتور أحمد عظيمي، "المشهد العسكري في شمال مالي وتأثيراته على دول الجوار" ، أرقام منشورة في مداخلة في الملتقى الدولي للتحديات الأمنية للدول المغاربية (الرهانات-التحديات)، ورقلة : جامعة قاصدي مرباح ، يومي 27 و 28 فيفري 2013.
- 13 - ولفرام لاجر، "الجريمة المنظمة والصراع في منطقة الساحل والصحراء"، لبنان: بيروت، أوراق كارنجي، سبتمبر 2012، ص 4.
- 14 - Georges Berghezan, Panorama du Trafic de Cocaine en Afrique de l'Ouest, Belgique : Groupe de Recherche et d'Information sur la Paix et La sécurité, juin 2012, pp 3-4.

¹⁵ - LauranceAida Ammour,"Les Défis De Sécurité dans la Zone Saharo-Sahélienne et Leurs répercussions dans la region Méditerranéenne ,Instituto Espanol de Estudios Estaratégioos,2010,p 6 .

¹⁶ - عمر فرحاتي، "أثر التهديدات الأمنية الجديدة في الساحل على الأمن في المغرب العربي"، مداخلة مقدمة في الملتقى الدولي المغربي حول التهديدات الأمنية للدول المغربية، في ضوء التطورات الراهنة"، يومي 27 و28 فيفري 2013.

¹⁷ - Aida Ammour, p8 .

¹⁸ - هاشم فياض، إفريقيا: دراسات في حركة الهجرة السكانية، ليبيا: مركز البحوث والدراسات الإفريقية، 1992، ص 31.

¹⁹ - عمران أبو حجلة، حالات الفوضى، الأثار الإجتماعية للعولمة، ط1، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1997، ص 36.

²⁰ - غربي محمد، "التحديات الأمنية للهجرة الغير الشرعية في منطقة البحر الابيض المتوسط:الجزائر أنموذجا"، الأكاديمية للدراسات الإنسانية والإجتماعية، العدد8، 2012، ص 52.

²¹ -Ali Mebroukine, L'attitude des autorités algériennes devant le phénomène de la migration irrégulière, CARIM notes d'analyse et de synthèse ,2009, p6 .

²² - مصطفى عبد العزيز مرسي، "تأثير الهجرة الغير الشرعية إلى أوروبا على صورة المغترب العربي"، ورقة مقدمة لندوة المغتربون العرب من شمال إفريقيا في المهجر الأوروبي"، برنامج الدراسات المصرية والإفريقية، جامعة القاهرة، أبريل 2007، ص3.

²³ -Tanguay Struye ,Pan Sahel initiative,cpyright, janvier 2005,deplomate magagine ;Obtenu dans ladresse electronique 25 mars2013.

<http://www.diploweb.com/forum/usafrica.html>.

²⁴ -Macron est arrivé au Mali pour son premier déplacement militaire publié 19/05/2017 à 12h17 sur website ;

<https://www.bfmtv.com/politique/macron-est-arrive-au-mali-pour-son-premier-deplacement-militaire-1167374.html>

25 - جورج تي يو، الصين وإفريقيا، مركز دراسات الصين وأسيا، مقال متحصل

عليه من الموقع الإلكتروني في يوم 28 مارس 2013.

<http://www.chinasia.ic.org/index.php?id=21&id=944>.

26 -Daniel large, As the begining Ends :Chinas return to africa , African Presspectives on china in africa , oxford nairoubi ,2007,p58.